

العدد الخاص مجلة الهند

حكمت وشرع دراین جا بهم آمیخته اند نمك وباده دراین میكده یار افتاد است
وربه پرسي كه دراین كار چه تدبیر بود دین ودنیا بهم آمیز كه اكسیر بود
وتأثر العلامة كثيرًا بقصص الأسلاف وبطولتهم وسلطتهم وعاداتهم ومفاخرهم
وأعجدهم وهذه الوقائع تمنحه القوة ويتفرد شعره بين معاصريه:

آنكه در انجمن فضل نمی داشت بهمال آنكه در بزم گپه دبر نبودش انباز
هیئت وهندسه را پایه ازو گشت بلند منطق وفلسفه را داد بهم او زیب وطراز
نظم او بنگر وآنكه سخن از سحر مگوي نژاد بین وديگر قصء مخوان از اعجاز
ويملك شبلي شعور التغير مع الظروف بدلاً أن يملك صامتًا
ومشدوها ويقول بهذا الصدد:

ننگ باشد كه پیش شه ودرویش شوي بهمت آنست كه خود چاره گر خویش شویم
چاره آن نیست كه بر رسم كهن طرح نهي مكتب ومدرسه با در همه اطراف وبلاذ
تاچه سودت دهد آن شیوه تعلیم قدیم كه به رویت در رزقي نتوانست گشود
بتواني كه خود از گوشه برآي وآنكه عرض اسلام كنی در همه امصار وبلاذ
ويذكر السيد سليمان الندوي تاريخ نظم الشعر لشبلي أنه قديم جدًا وفي بداية
الفترة نظم الشعر في الفارسية ويظهر ذوقه واهتمامه من خلال قصائده ومداخله
التي نظمها في الفترة الأولى. ولا شك أن العلامة شبلي له الفضل في تأسيس عهد جديد
في الشعر الفارسي وملء الشعر بالأفكار الجديدة والمشاعر القومية والدينية
وأصبحت رمز الحياة للأمة المسلمة بدلاً من كونها مجرد تسمم ناجم عن نكبة اللغة
وصحة التعبير كما كانت في ذلك الحين.

في عام 1885م طبعت ملحمته "صبح أميد" (فجر الأمل) وتناول فيها جانبين: تدهور
وانحطاط حال المسلمين وتقديم صورة ناصعة لحركة عليكره التعليمية ومن
المدهش أنه حذف ملحمته من قائمة مؤلفاته وفي الحقيقة أنها قصيدة رائعة يجدر
الثناء عليها. وانشغل شبلي من 1878-1887م في نظم الشعر وكان يقضي معظم
أوقاته مع رفقة المفتي صدر الدين آزرده والعلامة فيض الحسن والعلامة محمد

فاروق الذين يهتمون بنظم الشعر. وفي هذه الفترة نظم العلامة شبلي الشعر الفارسي في أغراض الغزل والمدح. وفي 27 من مارس 1884م طلب شبلي من معلمه مراجعة قصيدته قبل النشر وفي نفس الرسالة ذكر أنه كتب منظومة واسوخت في الفارسية والجدير أن يرى وكان يريد أن يقرأ عليه. وفي رسالة مؤرخة 24 أبريل 1884م يكتب شبلي عن واسوخت الفارسية التي تشمل على 15 مقطع وتحتوي 45 بيتًا.

وتدريجياً، بدأت المناقشة حول شعره وكتابته على نطاق واسع، وفي تلك الفترة في نيسان عام 1884م كتب قصيدة في الغزل ردًا على قصيدة علي حازن. وعاش العلامة شبلي في عليكره في جو تسوده الأفكار والعواطف والمشاعر الجديدة وكل من حول شبلي مهوور بالثورة الجديدة حتى اندمج الحق والباطل واحتيج إلى بصيرة فذة لفصلهما وشبلي يملك هذه البصيرة. ويذكر السيد سليمان الندوي "إن العلامة شبلي أظهر استعدادًا سريعًا لقبول بعض تأثيرات عليكره المفيدة وأولها حساسية ضد التدهور وألم انحطاط الأمة. وقصائده التي كانت تزخر بالجمال والحب بدأت تذرف الدمع في حب الأمة. وأصبح موضوع قصائده يرثي حال المسلمين على ما كانوا عليه في الماضي وعلى ما أصبحوا. وفي عام 1883م كتب قصيدة باسم "عيديه" بمناسبة العيد يذرف فيها دموع الألم على أمته بعد وصفه لسعادة قدوم العيد نرى ذلك في الأبيات التالية:

حيف كين شور و طرب يك دونفس بيش نماند	چه كند عيد بدردي كه بود صبر گداز
جمع اسلام چو باشد هدف تير بلا	خود چو كج باخت به ايشان فلك عربده ساز
فرق نبود بحقيقت ز محرم تا عيد	آه از فتنه گري هاي سپهر كج باز
خود بهمان جمع كه مى داشت بهم تيغ و قلم	خود بهمان قوم كه بوده است بهر پايه فراز
اينك آن قوم بحاليسست كه نتوان گفتن	خود به بين تا بچه انجام رسيد آن آغاز
شرح اين حادثه از شبلي دل خسته مخواه	شب بود كوته و افسانه دراز است دراز

وأراد شبلي أن يقدم للناس الوقائع العظيمة وأهم الإنجازات في العلوم الإسلامية والفنون وتاريخ الإسلام والثقافة وذكر أن عظمة الإسلام قد تدخل انتعاشًا في صدور المجتمع اليأس وحتى يعرف الأعداء ضعف اعتراضهم.

ويمكن أن نقول إن شبلي نجح في نيل أهدافه وتأثر بإنتاجاته جماعة من الناس الذين تعلموا على الأسلوب الحديث من خلال شعره وكتابته.

ويكتب شبلي عن نفسه "وأعتر بكوني ممن أبدعوا في تجديد هذه الحياة وكان هذا من حظي بأنني قمت بتعزيز هذه العاطفة والحماس الديني".

وتؤيد الحوادث أن شبلي كان ميالاً إلى السياسة على الرغم من أن السياسة لم تكن أبداً المحور الرئيسي لكتاباتاته ولكنه كان دائم الحب للسياسة لأنها تزيد من وسعة المعاني في وكان هذا من متطلبات طبيعية للثقافة الإسلامية والتاريخ الاسلامي والعلوم الإسلامية والفنون التي يحبها كثيراً. ويقول في هذا الصدد:

بزم را دید که از نغمه دوشینه تهی است شبلي آن زمزمه را باز ز آغاز گرفت

ونجد أن العلامة يحمل النظرية التي تقول لا يمكنه أن يعلن صحة البقاء بسبب كونه ماضياً ومن ناحية أخرى القصائد يمكنها أن تصبح جزءاً من النماء الثقافي بمجرد إلقاء الضوء على التاريخ الثقافي والطائفي لكونه المرأة التي تعكس حرية الإنسان في جميع الأزمنة وكذلك لكون الكفاح يجعل الرغبة في التقدم واضحة. فالشعر الذي لا يقدم صورة النضال الجوهري في زمنه لا أهمية تاريخية له ولا أدبية فقط عن طريق العبور بنجاح عبر حجر العثرة يمكن أن يكون درساً للماضي والحاضر والمستقبل وعندما تدرس شعر شبلي في ضوء الأحداث السابقة نجد أننا نصل إلى استنتاج السيد سليمان الندوي أن شبلي أبقى هذه الأفكار المجيدة حية لمدة 32 عاماً من خلال اندفاعات قلمه ودفء روحه.

سالها گوش جهان زمزمه را خوابد بود زين نوا با که دراین گنبد گردون زده است

لا شك بأن الميل الطائفي للشاعر يسلط الضوء على فلسفته في الحياة ولكنه ليس كافياً لنعرف إلى أي قسم من المجتمع أو الطائفة ينتمي لها الشاعر بدلاً من ذلك يجب الاهتمام بمعرفة الطرق التي سلكها لتعزيز وعيه الفكري في فهم صراع ونضال الحياة وماذا كان موقفه من فهم المشاكل المعاصرة، هذا حتي لأن الجهود المبذولة

في سبيل حل هذه المشاكل والتمثيل لمصالح المجتمع والنضال من أجل بقائها ما يؤكد مستوى الوعي الطائفي. وفقاً للبروفيسور محمد ياسين مظهر الصديقي "كان العلامة شبلي شاعراً مفكراً في اللغة الفارسية. من جهة سجل شبلي الحوادث التاريخية في شعره ومن جهة أخرى وصف مشاكل تلك الفترة الخاصة فقصائده للمجتمع تمثل وعيه السياسي وعلمه المعاصر.

وباختصار أن شعر العلامة شبلي يحمل ما يلي من الميزات والنقاط:

1. تأثر شبلي كثيراً بالوقائع البسيطة والخاصة في تلك الفترة ويستخرج الحقائق التاريخية والنتائج من تلك الوقائع ويترك ليرى الوقائع في ضوء العقائد الدينية. ويعتقد أن الفترة الماضية لثقافة الإسلام أفضل فترة في حضارة البشر. ويعتقد أنه إذا أراد حضارة البشر في المستقبل للوصول إلى قمة الازدهار فعلها أن يرجع إلى الماضي.
2. ومن أهم ميزات كتابة شبلي الوصف الدقيق في أعماله، ونجد في إنتاجاته تعبيراً صادقاً للشعور والذي يعبر أحياناً في أسلوب المتكلم والخطيب والمدرس وبطريقة فلسفية. وكان شبلي يدرك الأمية والذوق الرديء ونهج التعليم جيداً في عصره وبسبب بصيرته وشعوره الحساس وربما معرفته التي منح نقاء في شعره. وإلى جانب المعاني الخفية يبرز في أعماله الأسلوب المنطقي الذي يجعل قصائده رصينة ونموذجاً بديعاً في البناء وهذه العناصر العلمية والمنطقية تجعل قصائده بليغة ومثيرة.
3. الميزة الثانية لقصائد شبلي هي اللغة الساحرة والإيجاز. ونجد في أبياته الذوق والجمال بسبب الخصائص التي ذكرناها وفضلاً عن هذا اتخذ أسلوباً مختلفاً لتحسين كتابته ومن أهمها الاستعارة والتشبيه مع أنه يوظف هذه التقنيات البلاغية ولكنه يفضل الصور والمعاني الحية التي تعبر عن العاطفة والجزل ومستوحاة من واقع الحياة. ووفقاً للسيد عبد الله "أن شبلي قدم الاستعارات والتشبيهات في نهج واضح والتي تكون مختلفة عن معنى الوصف ويعتقد أن التقنيات البلاغية تضيف جمالاً في الكتابة.

4. وأكثر قصائده نالت شرفاً في الحياة التي تعبر عن احترام الذات والحرية والصدق. وكانت هذه الخصائص من مقتضيات عصره. والشاعر كان يعرف بقصائده التي تحمل رسالة الثورة والحرية والاستقلال في طيات قصيدته.
5. وقدم العلامة شبلي اللغة الفارسية بطريقة متنوعة والتي هي جميلة وجديرة بالثناء والتي تزداد جمالاً وجذباً في أبياته الشعرية. ويقول السيد عبد الله "وينتج شبلي في شعره القوة والجمال ليتضافر أسلوبه الجميل مع الطريقة المتنوعة للغة الفارسية. ومن خصائصه الشعرية أنه يستخدم عناصر الغزل ويظهر من أبياته أنها تنتمي إلى عصر آخر، لعصر غالب أو نظيري. ونجد في أبياته عناصر الرمز والإيجاز وسحر اللغة.
6. وطريقته تشبه الأغاني الجديدة ونجد فيها ذكر الخمر والشباب والربيع والفصول والنشوة وفقدان الوعي والجمال والبهاء.
7. وتتصف أبيات شبلي بالسهولة عامة ومع ذلك نجد الجمال فيها وصوتياتها تعطي مجموعة فريدة من الجمال والذوق. ومن مميزات قصائده البدهية التي تنتج نوعاً خاصاً من الغناء والصوت ولأنها من مقتضيات المعنى والموضوع. والعامة لا يحبون الكتابة السهلة ولكن وفقاً للعلامة شبلي "المرء البصير الذي يحمل صفة روحية وأن نمط الحياة الحقيقي عسير كما هو سهل وبسيط.
8. وفي تعبير الأفكار الحماسية ينتج من أبياته نوعاً خاصاً من الموسيقى والتي تكون صوتاً رائعاً في أوزان الأبيات المضطربة وأصوات مختلفة تعلو وتتناوب وتنتج لوحة في أبياته.
9. ومن خصائص قصائد شبلي السهولة والأفكار البديهية مهما كان الموضوع، يقدر في تعبيره كما يشاء بدون عناء وبأسلوب بديهي. ويقول السيد عبد الله "وميزته الخاصة أنه يصف تلقائياً وطريقة سرده طبيعية وتلقائية وأبياته تصوغ في قالب الجمال وقصائده تخلو من الصناعة والتمهيد التقليدي ولانجد عناصر تافهة في أبياته ولو سعى إليها لنجد الجمال والتفرد ونجد الجمال في أسلوب خاص وأشعار شبلي تخلو من العيوب.

إن شبلي لا يعتبر الشعر والفن أنه يمثل الطبيعة بل يرى أن الهدف الرئيسي للشعر الرفيع والفن الذي يقدمه عن الطبيعة يمنح جمالاً.

وإذا نظرنا في مرآة التاريخ لشبلي أن الجغرافية الطبيعية لها دور هام في الصعود والهبوط في تاريخ البشرية. وبالتالي تتأثر قصائد شبلي كثيراً بالظروف والأحداث ويجسد الخيال بأسلوب فعال مقارنة من السرد ويكون ذهنه صافياً عند تمثيل مشاهد الطبيعة ووفقاً للسيد سليمان الندوي "شبلي ينشد قصائده بأسلوب جذاب ومؤثر وكتب قصيدة مدحية باللغة الفارسية ويذكر فيها عن رحلته إلى القسطنطينية ونرى في مجموعة أعماله ذوقه الرائع في خلق المشاهد التي ينفع منها قلبه. وفي موضع نجد شبلي ينتقد على المسلمين لتقليدهم الإنجليز ويقول "المسلمون لم يستمدوا نمط المجتمع الإنجليزي بل بغض الانجليز يهيمن على عقولهم أيضاً:

نكته شرع به افسانه برابر به نهی يورب ارگپ زند آن نيز مسلم باشد

ومن أهم ميزات أعمال شبلي إيصال الرسالة للمتلقي فهو دائماً يقدم روحاً معنوية في شعره، التي لا تساهم فقط في صنع جماعة من الناس بل تكون سبباً في ارتقاء القيم الإنسانية السامية وتفوق الناس أيضاً. ووفقاً للسيد عبد الله "شبلي يرى أن التقدم والخير يعتمد على الشعور الفاضل، وعند ظهوره يبقى حياً مع بقاء التقدم والخير ولو حتى بعد اندثار الاجناس والمجتمعات يبقى التقدم والخير لبناء المستقبل.

باختصار عرضنا الأسباب والعوامل المذكورة أعلاه التي شجعت شبلي للإسناد عليها وفقاً للسيد عبد الله "إصلاح الرذائل الباطنية للعلماء، والثبات على الحرية والشجاعة لقول الحق أمام الحكام والأمراء، وأهمية دراسة الفلسفة والمبادئ الفكرية الأخرى التي تحتاج إلى إصلاح الثقافة والمجتمع وأهمية الاجتهاد وحرية التعبير والخدمات العلمية من أوروبا والأحكام المسبقة من العلماء الأوروبيين ضد المسلمين الخ.

وفي الأيام الأخيرة تأثر غزل شبلي الفارسي كثيراً بحافظ ويكتب بعض النقاد أن الصوفية تستحوذ على عقل شبلي حتى أنه بدأ يطلب جواباً من هو بائع الخمر في الحقيقة ولكن هذا ليس صحيحاً. في الحقيقة أنه تخلص من تأثير الفلسفة والحكمة وبدأ يقول:

العدد الخاص مجلة الهند

دول بودن در این ره سخت تر عیب است سالک را خجل هستم ز کفر خود که دارد بوی ایمان بهم

ساغر زندگیم حیف که جز درد نداشت جز بمین جرعه آخر که به پایان زده ام

وباختصار نجد الذوق الشعري وحب الاستطلاع راسخاً في أعمال شبلي ويزخر شعره
بالجوانب السياسية والدينية والجمالية وتعكس منها نزعتة وشخصيته ونقدر أن
نقول:

ای بسا شاعر که بعد از مرگ زاد چشم خود برپست و چشم ما گشاد

ولم نبالغ ولم نقل شيئاً خاطئاً وفي الحقيقة بعد مرور القرون لم يترك أي جزء من
فكره الإبداعي حتى تناوله الكتاب وهذا دليل على أهمية أعماله في وقتنا الحاضر ولن
يكون من الخطأ إذا قلنا:

روشنم شد زنوا سنجي شبلي کامروز بند را نیز قمی هست و صفا بانی هست

الشيخ عبد السلام الندوي

(لمحة عن حياته وخدماته)

- الشيخ بدر جمال الإصلاحي¹

ولاية أوترابرايش التي كانت مسقط رأس الشيخ عبد السلام إن لم تكن أكبر ولايات الهند ولكنها أكثرها سكاناً. أنجبت رجالاً ذوي علم وعقل وثقافة، وأصحاب فكر في مجال التعليم وتفهم القرآن والحديث كالعلامة محمد فاروق التشرياكوتي والعلامة فيض الحسن السهارنفوري والشيخ محمود حسن الديوبندي والعلامة شبلي النعماني والإمام عبد الحميد الفراهي والشيخ محمد أسلم الجيراجفوري والشيخ عبد السلام الندوي علماء عباقرة امتازوا وتخصّصوا في مجال العلم والأدب والفن ولهذه الولاية أهمية كبرى في حقل السياسة والكفاح ضد الإنجليز وإنقاذ الوطن من براثنهم الغاشمة.

وتنقسم هذه الولاية إلى منطقتين؛ شرقية وغربية. والمنطقة الشرقية ينتشر فيها الفقر، لأنه لا توجد فيها المصانع ولا يجد سكانها أسباباً لكسب المعيشة وأرضها أيضاً أقلّ خصباً من أرض المنطقة الغربية، وأكثر سكانها من ذوي مستوى مادي بسيط ولذا فهم ينتقلون إلى بلاد أخرى لكسب المعاش والحصول على القوت، فكانوا يسافرون قبل قرن إلى ملايو (ماليزيا وسنغافورة الحاليتين)، والآن هم يسافرون إلى البلاد الخليجية كالمملكة العربية السعودية ودبي والكويت وعمّان وإلى غيرها من البلاد العربية الأخرى.

ولكن أهالي هذه المنطقة قد فاقوا لاعتنائهم بتلقي العلم وتقدّموا في هذا المجال فأقاموا معاهد كبيرة للعلوم والفنون مثل كلية شبلي الوطنية في مدينة أعظم كره وكلية محمد حسن في مدينة جونفور ودار العلوم بندوق العلماء في لكاناؤ ومدرسة

¹ أستاذ اللغة العربية وآدابها في "مدرسة الإصلاح" بـ"سرائمير"، أعظم كره

الإصلاح ومدرسة بيت العلوم في سرائ مير وجامعة الفلاح في بلرباغنج وجامعة الرشاد في أعظم كره، وكذلك مدارس مئو ومباركفور وشاه غنج وغيرها من الكثرة الكاثرة من المدارس الدينية والحكومية على السواء.

وقد أنجبت هذه المنطقة كثيرًا من العلماء والشعراء والأدباء، برز بعضهم واشتهروا في الآفاق فيجمل بي أن أذكر أسماء بعضهم كالشيخ عبد السلام الندوي والعلامة إقبال خان سهيل واحتشام حسين وكيفي الأعظمي وكبير أحمد الجائسي وغيرهم.

وقد اشتهر كثير من المدن والقرى لهذه المنطقة في العلم والثقافة لكنناؤ وفيض آباد وجائس وموهان وبلغرام وأعظم كراه وبلربا غنج وسرائ مير وبندول وجيراجفور وعلاؤ الدين فتي ومباركفور ومئو وتشرياكوت وغيرها.

وإن قرية علاؤ الدين فتي لها فخر وميزة لأنها كانت مولدًا ومسقط رأسي لبطلنا الشيخ عبد السلام الندوي وهي قرية صغيرة على بعد خمسة عشر كلمترًا من مدينة أعظم كره، وكان بطلنا هذا رجلًا فريدًا بين أقرانه، كان يعيش بالبساطة، ويحبّ القناعة والفقر، وكان مصداقًا للحديث النبوي "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وكان رجلًا علميًا مفكرًا، كلّ حين كان يفكر في حلّ المسائل العلمية والتاريخية، كان له نظر عميق في العلوم العديدة لاسيما التاريخ والأدب.

يتشابه أسلوب كتابته بكتابة أستاذه العلامة شبلي النعماني وبكتابة الشيخ أبي الكلام آزاد مع أنه كان مصنفًا مفطورًا ومجددًا في التحقيق والانتقاد وقد تأثر بشخصيتهما تأثرًا كبيرًا، وكذلك يحبّانه ويقدرانه لأنه كاتب بفطرته، كان يمسك القلم ويكتب بدهاء دون تكلف، كأن الله خلقه للكتابة والإنشاء. عاش أربعًا وسبعين سنة (من 1883م حتى 1956م) ولكنه قد ملأ المكتبة العلمية في هذه المدة القليلة وكان من معاصريه الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ محمد أسلم الجيراجفوري والشيخ أبو الكلام آزاد والشيخ سيد سليمان الندوي وغيرهم من أفاضل العلماء.

وكان متعمقًا في قضايا العلم، وغواصًا في بحر أفكاره ولكنه ما كان زاهدًا محضًا وتاركًا دنياه، يتمتع بجمال الأشياء وحسنها، وربما يلبس أثوابًا ملوّنة، وكان يقدر على قول الشعر أيضًا ولكنه ما كان مشغولًا به عن التفكير في المعاني والإنشاء والكتابة.

وكان يفكر في المسائل العلمية وخاصة عندما كان يخرج للتنزه في الشوارع ولا يدري بأي مكان يمرّ وبمن يمرّ ولم يزل يغيب في أفكاره العلمية¹.

قد ولد الشيخ عبد السلام الندوي في السادس عشر من فبراير سنة 1883م في قرية علاؤ الدين فتي من مديرية أعظم كره وينتهي إلى أسرة إقطاعية متوسطة كانت تمتهن الزراعة وتشتغل بتجارة الزيت والسكر.

وأغلبية أسر المسلمين في أعظم كره ينتهي نسبهم إلى قوم "راوت" من الهندوس، قد اعتقوا الإسلام في عهد السلاطين المسلمين في الهند، فقد تشرف بالإسلام رجل من آبائه².

وما راج التعليم عند مولده في ضواحي قريته إلا في قريتي "بندول" و"جيراجفور". وكان جدّه الشيخ بدهو (Buddhū) أميًا لا يعرف الكتابة والقراءة ولكنه كان ذا جاه ونفوذ بفضل إقطاعيته وتجارته وكان يعدّ من الأثرياء وذوي الجاه والسلطة. وقد تعلّم والده الفارسية حسب ما كان رائجاً في زمانه، لأن الفارسية كانت رائجةً آنذاك في الهند، وتعلّم الحساب لأغراض تجارية. وقد تعلّم عمّه المسّي "نور محمد" العربية والعلوم الدينية، وكان متشوقاً بالمطالعة، وقد مهر في العلوم الدينية وأنشأ كتيبات دينية بفضل مطالعته.

وقد بدأ الشيخ عبد السلام الكتابة والقراءة في بيته وعيّن والده لتعليمه الشيخ السيد إمداد علي فكان يأتي كل يوم إلى بيته ويعلمه ويؤدّبه فحصل منه الأردوية والفارسية والحساب وقراءة القرآن.

وكان عمره آنذاك يتراوح بين الثالثة عشر والرابعة عشر وكان محبباً لدى والده وجدّه وعزيراً عندهما و زوّجه والده ببنت عالم كبير موثوق به يسمّى "الشيخ عبد الله الجانديباروي" الذي تعلّم وأتمّ المقررات الدراسية على يد عالم كبير معروف ألا وهو الشيخ عبد الحيّ الفرنغي محليّ، وبعد التكميل مارس التدريس في أمكنة متعدّدة وكان له تجربة ومهارة في التعليم والتدريس، وكان يمارس تعليم أولاد أسرته وقريته في بيته، فمكث الشيخ عبد السلام الندوي لدى صهره الشيخ عبد الله سنتين وأتمّ الدراسة الفارسية.

¹ كچه ياديس كچه باتيس، ص 123-125

² عبد السلام ندوي، حيات اور علي فتوحات، ص 9

ثم سافر إلى كانفور وهناك بدأ بتعلّم العربية ثم سافر إلى آغره وهناك كان الشيخ رمضان يعلم العربية والفقه في جامع كانفور، فدرس عليه "شرح الجامي" في النحو و"القدوري" في الفقه ثم ذهب إلى غازيفور حيث تلمذ على الشيخ شبلي الجيراجفوري وتعلّم الكتب المتوسطة في العلوم العربية وقرأ في المنطق "مير زاهد" على الشيخ لعل محمد الذي كان مدرّسًا في مدرسة "چشمه رحمت" وهذه هي المدرسة التي تعلّم فيها الشيخ شبلي النعماني.

كان الشيخ عبد السلام مشغولًا بالتعلّم في غازيفور إذ فشا وباء الطاعون وعمّ في أنحاء الهند، فانقطع عن حصول العلم سنتين ثم ذهب إلى لکناؤ والتحق في الفصل الخامس العربي بدار العلوم بندوق العلماء، لکناؤ سنة 1906 م وتخرّج منها في 1909 م ثم أتمّ فضيلة الأدب في سنة 1910 م¹.

وكان بفطرته أديبًا، وقد تفرّس ذلك العلامة شبلي النعماني (وكان العلامة آنذاك في ندوة العلماء أستاذًا في القسم العربي) فأوصى إلى المسؤولين أن يقرّروا الشيخ عبد السلام أستاذًا للأدب العربي في ندوة العلماء ثم اشتغل العلامة شبلي النعماني بتأليف كتابه الشهير "سيرة النبي" فجعله مساعدًا له في ذلك وفي هذا الزمان دعاه الشيخ أبو الكلام آزاد إلى كولكاتا لإدارة صحيفته "الهلال" فكان يفكر للذهاب إلى كولكاتا ولكن كان مترددًا ومتذبذبًا ولم يستطع أن يصمّم على السفر.

ولما التحق الشيخ عبد السلام بدار العلوم بندوق العلماء تفرّس العلامة شبلي الذي كان مسؤولًا عن الشؤون التعليمية فيها تفرّس لصلاحه وذكاءه فقرّبه إليه واعتنى بتعليمه وتربيته. و كان يوجد هناك كثير من مواطنيه وأهل قبيلته كالشيخ حفيظ الله مدير الدار والشيخ شبلي النعماني مسؤولها عن الشؤون التعليمية².

هكذا قد اجتمع في نادية العلامة شبلي بضع تلامذة وذوو صلاحية كبيرة في التصنيف والتأليف والإنشاء كما كتب السيد سليمان الندوي "وقد اشترك في هذه النادية عضو، وهو الشيخ عبد السلام وله قدرة موهوبة على الإنشاء والكتابة والتصنيف".

¹ عبد السلام ندوي، حيات اور علمي فتوحات، ص 12

² مشاهير أهل علم كي محسن كتابين، ص 118

العدد الخاص مجلة الهند

و فيما يلي عرض للعلاقة التي كانت بين الشيخ عبد السلام والعلامة شبلي النعماني وكيف أنشأ العلامة شبلي النعماني ورباه واعتنى بتعليمه، وهي اقتباسات من مجلة "الندوة" و"مكاتيب شبلي" و"حيات شبلي" ومشاهير أهل علم كي محسن كتابين" وغيرها.

ومن يكون له إلمام بكتبه يعرف جيدًا أنه كان ذا ذكاء فائق وفكر عميق وله أسلوب منفرد في الكتابة والأدب والإنشاء. قد وقف حياته لخدمة العلم والأدب وما أراد شيئًا في حياته سوى العلم، وقد ظهرت فطنته منذ صغره وقد تفرّس ذلك منه أستاذه الجليل العلامة شبلي النعماني وكان يحبه لصلاحه ويمدح مقالاته فهو يقول:

"إن عبد السلام ذو عقل وفطنة وهو يقدر أن يكون مصنفًا".¹

ولما التحق الشيخ عبد السلام بندوة العلماء كان العلامة شبلي النعماني مسؤولًا عن الشؤون التعليمية فتفرّس ما كان فيه من الذكاء والفطنة فجعل يربيّه ويشجّعه على تلقّي العلم والدراسة والإنشاء والكتابة وضمّه إلى زمرة الأذكياء من الطلبة، يقول الشيخ السيد سليمان الندوي:

"قد أضيف إلى هذه الزمرة عضوٌ وهو الشيخ عبد السلام كأنه خلق على الإنشاء والكتابة".² وكان العلامة شبلي النعماني يربيّه على تصحيح المقالات والكتابة ولما أراد أن يطبع مقالته "مآثر رحيمي" في مجلة "الندوة" يرشده إلى تصحيحها في رسالته التي وجهها إليه 16/ مايو سنة 1907م:

"عليك أن تعتني بتصحيح مقالي "مآثر رحيمي" ولو طبعت بدون اهتمام لأتأسف كثيرًا".³ وكان العلامة شبلي يعتمد عليه ويثق به في الشؤون العلمية والتأليفية وجعله نائب المدير لمجلة "الندوة"، يقول في رسالة أرسلها 8/ سبتمبر سنة 1912م إلى الكاتب محمد أمين ناظم رياسة بوفال:

¹ مكاتيب شبلي، 239/2

² حيات شبلي، ص 423

³ مكاتيب شبلي، 172/2

"هو (عبد السلام الندوي) وسيع النظر له ملكة الاستخراج مجيد في العربية ذو صلاحية كبيرة"¹.

ولما دعاه الشيخ أبو الكلام آزاد إلى كولكاتا في سنة 1912م لإدارة صحيفته "الهلال" أجازته العلامة شبلي النعماني واثقًا به على استعداده، لهذه المسؤولية، قد كتب العلامة إليه في الثالث من مارس سنة 1914م من إله آباد:

"إني أجزئك أن تذهب إلى كولكاتا لإدارة صحيفة "الهلال" ولكن ينبغي لك أن لا تضع فيها بل عليك أن تكتب باسمك ما تكتب فيها"².

قد تمت كل دائرة علمية أو صحافية أن ينسلك الشيخ عبد السلام بها، لأنه ما كانت توجد كمثلته شخصية عبقرية في جميع أنحاء الهند فأرادت ندوة العلماء أن ينسلك في زمرة أساتذته، ودعاه الشيخ أبو الكلام آزاد لإدارة صحيفته "الهلال" ولكنه أثر دار المصنفين (أكاديمية شبلي) الواقعة في مدينة أعظم كره، وهذه الأكاديمية قد أقيمت على ذكرى أستاذه الجليل العلامة شبلي النعماني فأعطاهما الوقار والعزّ والشهرة فذاع صيتها في جميع أنحاء العالم بفضل سعيه ولها أهمية كبرى للتأليف والتصنيف في العلوم الإسلامية ولاسيما في التاريخ الإسلامي وسيرة علماء الإسلام.

وكان الشيخ عبد السلام مقيمًا في كولكاتا لدى الشيخ أبي الكلام آزاد وقد عطلت صحيفته "الهلال" إذ فجع بمفاجأة رحلة أستاذه العلامة شبلي النعماني في 18/ نوفمبر، 1914م وقبل وفاته بقليل قد رتب العلامة أهداف دار المصنفين وأغراضها وأعد جماعة من تلاميذه لتكميل بقايا شؤونه من التصنيف والتأليف فقام تلاميذه المخلصون للقيام بمقاصده فانسلك الشيخ عبد السلام بهذه الجماعة المخلصة وكتب إلى الشيخ السيد سليمان الندوي:

"إني معترف أنك خليفة أستاذي بلا فصل وأعهد إليك أنك ستجدني إن شاء الله وفيًا لك كما كنت لأستاذي الجليل فاحسبني خادمًا وفيًا وإني أعمل لدار المصنفين بكل أمانة ووفاء تحت إشرافك".

¹ المصدر نفسه، 242/1

² المصدر نفسه، 176-175/2

العدد الخاص مجلة الهند

فجاء الشيخ عبد السلام إلى دار المصنفين والتحق بها في أوائل 1915م وخدم لها إلى وفاته في 4/ أكتوبر سنة 1956م فأمضى مدة أربعين سنة في التصنيف والتأليف.

وقد ذكر غير واحد من المؤلفين كتابات الشيخ عبد السلام المطبوعة بالتفصيل وأبدوا آرائهم وانتقدوها وهنا نذكر بعض مؤلفاته المطبوعة.

وقد دخل الشيخ عبد السلام الندوي في مجال التصنيف والكتابة سنة 1906م عندما كتب أول مقالاته على موضوع التناسخ ونشرت في مجلة "الندوة" التي كانت تصدر من دار العلوم بندوق العلماء بلكناء وقد تأثر شبلي النعماني بهذه المقالة وأحبها ومنحه جائزة ثمينة.

ثم بعد ذلك كتب مقالات وكتبًا كثيرة لا يمكن أن تعدّ وتحصى، وقد اشتهر منها كتاب "إقبال كامل" و"شعر الهند".

(1) إقبال كامل: ألّف هذا الكتاب في سنة 1948م وهو يحتوي على ترجمة شاعر الشرق العلامة إقبال وأفكاره بالتفصيل وعرف شعره وفلسفته.

(2) شعر الهند: وألّف الجزء الأول من هذا الكتاب في سنة 1925م، قدّم فيه تراجم الشعراء القدماء والجدد وذكر التغيرات والتقلبات التي طرأت حينًا بعد آخر على الأدب الأردوي، وعرض الموازنة والمقابلة بين كلام الشعراء المعروفين.

وأما الجزء الثاني فقد طبع أول مرة سنة 1926م ذكر فيه جميع أصناف الشعر الأردوي كالغزل والقصيدة والمثنوي والمرثية وغير ذلك وانتقدها من حيث التاريخ والأدب.

(3) سيرة عمر بن عبد العزيز: ألّفه في سنة 1919م، ويبيّن فيه ترجمة الخليفة الأموي الراشد وأعماله الجليلة وعهد حكومته الراشدة بالتفصيل.

(4) أسوة الصحابة: طبع الجزء الأول لهذا الكتاب في سنة 1920م ويبيّن فيه عقائد الصحابة والصحابييات وأخلاقهم وحسن عبادتهم وحسن معاشرتهم وذكر فيه

أن حياتهم كانت نموذجًا للتعاليم الإسلامية وكانت توافق الكتاب والسنة في جميع شؤونها ونواحيها.

وأما الجزء الثاني فقد نشر سنة 1922م وبين فيه الشيخ الندوي أعمال الصحابة والصحابيات الجليلة وحسن سياستهم وخدماتهم العلمية وفتوحهم وكيف أقاموا الدولة الإسلامية على منهج الكتاب والسنة وحافظوا على الإسلام وعلى العلوم الإسلامية.

(5) الإمام الرازي: طبع هذا الكتاب في 1950م وقد ذكر فيه فلسفة ونظرية الإمام الرازي في أهمّ مسائل التفسير مع حياته الحافلة بالخدمات العلمية والمؤلفات الجليلة القيّمة.

(6) الحكماء في الإسلام: طبع الجزء الأول من هذا الكتاب في 1953م وهو يحوي المآخذ للفلسفة اليونانية وتراجم الحكماء في الإسلام إلى القرن الخامس الهجري وأحوالهم وأعمالهم بالتفصيل.

وأما الجزء الثاني فقد طبع في 1956م وذكر فيه تراجم الحكماء المتوسطين والمتأخرين وأحوالهم وخدماتهم بالتفصيل¹.

(7) مقالات عبد السلام: طبعت هذه المجموعة في 1968م وهي تحتوي على نحو ثلاثين مقالة مختارة وهذه المقالات قد نشرت أولاً في مجلة "معارف" وهي تتضمن الأدب والانتقاد وقد أظهر الشيخ الشاه معين الدين الندوي رأيه في هذه المقالات كما يلي: "وعلاوة على الكتب القيّمة الجليلة فقد كتب الشيخ عبد السلام مقالات كثيرة، وكان مجاله الخاص الشعر والأدب وكان ناقدًا ومؤرخًا وكان يعرف كل جهات الشعر والأدب وأطرافهما".

¹ كچه يادیں کچه باتیں، ص 132-133

كما كان الشيخ عبد السلام مصنفًا بارعًا وناقداً ماهراً ومؤرخاً صادقاً كذلك كان مترجماً ماهراً فقال بترجمة كتبٍ عربية متعددة ذات أهمية كبرى مثل:

(8) تاريخ التشريع الإسلامي: كان أستاذه المبدّل العلامة شبلي النعماني يتمنى أن يدوّن أحد من تلامذته تاريخ الفقه الإسلامي في الأردية فلما نظر إلى "كتاب التشريع الإسلامي" وجده موافقاً لتمني أستاذه فترجمه بالأردية السلسلة الفصيحة باسم "تاريخ فقه إسلامي".

(9) ابن خلدون: ألّف هذا الكتاب الدكتور طه حسين والذي يشتمل على حياة ابن خلدون وشرح فلسفة العمران. كتبه بالفرنساوية وحصل به على شهادة الدكتوراه من جامعة سربون، نقل هذا الكتاب القيّم إلى العربية في مصر ثم ترجمه الشيخ عبد السلام الندوي بالأردية السلسلة لإفادة غير الناطقين بالضاد.

(10) انقلاب الأمم: كتبه عالم فرنساوي بالفرنساوية، قد بيّن فيه الأصول النفسية وشرح القوانين الأخلاقية التي تتعلق بعروج الأمم وزوالها. يشتمل الكتاب على خمسة أبواب وفي كل باب فصول متعدّدة.

قد ألحق المترجم بهذا الكتاب مقدّمة ذكر فيها حياة المصنّف ثم بيّن فلسفة عروج الأقوام وزوالها وبمناسبة ذلك ذكر آراء بعض علماء الإسلام ولاسيما أفكار العلامة ابن خلدون. قال الشيخ أبو الكلام آزاد عن ترجمة هذا الكتاب بعد قراءتها: "قد ترجم الشيخ عبد السلام ترجمة فصيحة مؤثرة، وأحسن وإني مسرور جداً بأن نشر كتاب علمي نفيس بالأردية".

(11) اسلامي قانون فوجداري: ألّف الشيخ سلامت علي خان كتاباً على موضوع قانون الجزاء سمّاه "كتاب الاختيار" قد جمع فيه قضايا قانون الجزاء من كتب الفقه واستقصى مسائلها، فترجمه الشيخ عبد السلام الندوي بالأردية وسمّاه "اسلامي قانون فوجداري".

(12) تاريخ الحرمين: جمع عباس حلي باشا الثاني خديو مصر وكتب بأمره محمد لبيب مشاهداته في الحرمين وفي الأمكنة المقدسة الأخرى باسم "الرحلة الحجازية" فترجمه إلى الأردوية الشيخ عبد السلام باسم "تاريخ الحرمين" وحذف لدى الترجمة بعض الأشياء كما أضاف إليها أشياء أخرى.

وكذا ترجم كتبًا متعددة غيرها و أتركها خوف الإطالة.

وكان الشيخ عبد السلام سليما إلا أنه كان يشكو في بعض الأحيان الاختلاج، فشخص له الأطباء التنزه والمشي على الأقدام صباحًا ومساءً فكان يخرج كل صباح ومساءً ويمشي على أربعة أميال أو خمسة وكانت صحته جيدة قبل وفاته وكان قد عزم على لقاء أبي الكلام آزاد واستعد للسفر ليهدي إليه بعض كتبه ويتباحث معه في بعض القضايا العلمية وحدد تاريخ السفر إلى دلهي حيث كان يسكن صديقه القديم أبو الكلام آزاد وزيرًا للتعليم لجمهورية الهند.

في الثالث من أكتوبر سنة 1956م أنهى جميع أعماله، وخرج أيضًا في المساء للتنزه كما كانت عادته وتعمنى ونام كعادته واستيقظ في الساعة الثانية والنصف للتبول وما كاد يخرج من دورة المياه حتى ابتلي فجأة بأزمة قلبية وخر مغشيًا عليه وكان هناك البروفيسور خورشيد النعماني والشاه معين الدين الندوي نائمين فاستيقظا لصوت سقوطه على الأرض وفزعا وأمسكاه وأضجعاه على السرير ولكنهم لفظ أنفاسه الأخيرة ونام إلى يوم القيامة¹ نومًا عميقًا، فإننا لله وإنا إليه راجعون. يَتَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ^(٧) إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً^(٨) فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي^(٩) وَأَدْخِلِي جَنَّتِي^(١٠)

و له كتب كثيرة غير هذه أترك ذكرها لأن مقالتي هذه لا تتحمل التحويل.

وقد اعترف الشيخ السيد سليمان الندوي في كتابه الشهير "حيات شبلي" أن الشيخ عبد السلام قد ساهم في إعداد هذا الكتاب كما قال:

"قد جمع الشيخ عبد السلام أحوال أسرة العلامة شبلي ورتب رسائله لأنه كان من قبيلته ومن مواطنيه"².

¹ مولانا عيد السلام ندوي، حيات أور علي فتوحات، ص 51

² حيات شبلي، ص 424

المصادر والمراجع

1. البروفيسور محمد شميم الجيراجفوري: كچه ياديس كچه باتيس (ذكريات وأحاديث)، إيجوكيشنل ببلشنغ هاؤس، دلهي، 2002م
2. الشيخ السيد سليمان الندوي: حيات شبلي، دار المصنفين، أعظم كره، 1999م
3. الشيخ شبلي النعماني: مكاتيب شبلي (إعداد: السيد سليمان الندوي)، دار المصنفين، أعظم كره، 1972م
4. الشيخ محمد عمران خان الندوي: مشاهير أهل علم كي محسن كتابين (مؤلفات ورسائل أثرت في العلماء المشهورين)، مكتبة جمعية التعاون، دار العلوم، 1946م
5. مولانا عبد السلام ندوي، حيات أور علمي فتوحات (مجموعة مقالات النوة العلمية حول حياة الشيخ عبد السلام الندوي وخدماته)، بيكيجنغ برنترس، مومباي، 2001م

روايات الطبري في "سيرة النبي" للعلامة شبلي النعماني (دراسة تحليلية)

- الشيخ كليم صفات الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: محمد أحمد عبد الله²

إن مآثرة عصره المتفردة الفخمة الهامة لأواخر حياة المؤرخ الإسلامي العلامة شبلي النعماني هي "سيرة النبي" -المجلد الأول والمجلد الثاني- التي تحيط دائرتها العلمية والتحقيقية والأدبية وفوق كل ذلك دائرة سمعتها وعظمتها التأليفية بالعالم كله. ويندر في بيئة يدرس أهلها ويكتبون وينطقون باللغة الأردوية أن لا يقف أحد منهم على اسم "سيرة النبي". وكيف لا؟ فإنها تفاصيل أوراق الحياة الطيبة لتلك الشخصية التي أعلن الله بذكرها مع ذكره في بقاع العالم كله فقال عزّ من قائل في كلامه المجيد: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ³، إنها تذكرة معتبرة وموثوق بها في اللغة الأردوية وآدابها لذلك الإنسان الكامل. كل عباراتها وسطورها بل كل ألفاظها مأخوذة ومستنبطة من المصادر العربية الموثوق بها. يأخذ هذا الكتاب الفاخر العديم النظير من القرآن المجيد والروايات الصحيحة من الصحاح الستة وكتب السير والمغازي لابن إسحاق وابن هشام والإمام الزهري وموسى بن عقبة وابن سعد والإمام البخاري وعروة بن الزبير والشعبي ووهب بن منبه وأبو معشر نجيع وعبد الله بن جعفر المدائني وعلي بن مجاهد وزياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي وسلمة الفضل الأبرش وأبو محمد يحيى الأنصاري ومحمد بن عمر الواقدي ويعقوب الزهري وعبد الرزاق بن همام ومحمد بن

¹ كاتب هندي له مساهمات قيّمة باللغة الأردوية

² باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي

³ سورة الشرح: 4

عيسى الترمذي وغيرهم من علماء السير، وعبد الرحمن السهيلي وعبد المؤمن الدمياطي وعلاء الدين الخلاطي والغازروني والمغلطائي والحافظ أبو سعيد عبد الملك النيشابوري وابن الجوزي وأبو الربيع سليمان الكلاعي وابن عبد البر وابن سيد الناس وزين الدين العراقي والقسطلاني ومصنف سيرة الحلبية وغيرهم من أصحاب السير المتأخرين. وتم فحصه في ضوء فن أسماء الرجال وفن الحديث والسير وأصول الرواية والدراية. وعني عناية تامة بأن لا يأتي ذكر أي واقعة أو قول بدون هامش يأتي بالمصادر. وقام أثناء التعليق على السيرة بالاستعراض النقدي في ضوء مؤلفات سيرهم لأهميات كتب الحديث والسيرة والبحث على مراتبها وفروقاتها الثنائية وعدم الاعتناء بمؤلفات السيرة في كتب الحديث وتدليس أصحاب السير واختلاف المراتب في الروايات ومعياري الشهادة وقبول ورفض روايات الرواة الحديثي السن وأثار الأسباب الخارجية على فن التاريخ والرواية والقياس والدراية وطريق دراية المحدثين وأهمية ومنزلة الرواية بالمعنى ورواية الأحاد ومؤلفات سير الأوروبيين وطرز فكرهم فيه.

ومن الواضح أن الكتاب الذي عني في ترتيبه وتأليفه بجميع ما له وما عليه من الجوانب الملحوظة لا شك في كونه موثقاً به ويمكن أن يقال بدون خوف وتردد بأن المأثرة التي تكون دائرتها واسعة وبسيطة جداً يلزم أن يقصر فيها ابن آدم بسبب كونه إنساناً. ومن لا يقبل ذلك فهو لا ينصف في قوله وعمله.

وبغض النظر عن جميع الأقوال والهوامش هناك كتاب هام في تاريخ الإسلام "تاريخ الأنبياء والملوك" الذي يُعدُّ في السيرة مصدراً موثقاً به، وأحال إليه أهم أصحاب السير المتقدمون والمتأخرون في تحقیقاتهم وتسلموا بأهميته في هذا الصدد، وعني به العلامة شبلي عناية خاصة. ويمكن أن يرى استعماله في سيرة النبي في أماكن مختلفة. وليس هذا فحسب بل لو قيل أنه استفاد من الطبري أكثر بكثير من كتب السير والمغازي الأخرى بعد القرآن والسنة لكان أصوب. فما كانت أسبابه؟ إن هذا لا يتعلق بتحقيقنا هذا بل هذا يحتاج إلى مقال مستقل. والغرض منه هنا هو الإخبار عما كانت منزلة الإمام الطبري لدى العلامة شبلي والمحققين الآخرين وما هي منزلة الروايات التي أوردها شبلي في سيرة النبي. هل تناول كلها بدون البحث والتحقيق أم بعد الفحص والتدقيق في

ضوء الجرح والتعديل وفن الأصول والدراية؟ وقبل الخوض في مثل هذه المباحث يجدر بنا ذكر أخبار الإمام الطبري بالإيجاز.

موجز أخبار الإمام الطبري:

الاسم الكامل للإمام أبي جعفر الطبري هو محمد بن جرير. وشجرة نسبه كما ذكر ابن خلكان هي أبو جعفر جرير بن يزيد بن خالد الطبري¹.

ولد الإمام الطبري في المدينة الشهيرة طبرستان آمل في أوائل القرن الثالث الهجري (عام 225هـ). وحصل على العلوم الابتدائية في بيته وحفظ القرآن وهو في السابع من عمره. واستأذن من والده الكريم فتعلم من مشائخ آمل والري ونواحيهما. ثم اختلف إلى الكوفة ومصر وفسطاط والشام وغيرها. وتعلم من الأساتذة الكبار المشهورين من مثل محمد بن حميد الرازي ومثنى بن إبراهيم والأيلي وأحمد بن حماد الدولابي ومحمد بن بشار وهناد بن السري وأبو كريب محمد العلا الهمداني وغيرهم. كتب صاحب معجم الأدباء في رغبته وجهده للحصول على العلم أن الطبري كان يستفيد من مشائخ وأساتذة الري ونواحيها في وقت واحد. فبعدما تنتهي دروس الشيخ أحمد بن حماد الدولابي الذي كان مقيماً في ضواحي الري كان يهرول ليشترك في دروس مشائخها². ولم يحظ بهذه الرغبة في الحصول على العلم إلا قليل من الطلاب.

رجع الطبري إلى وطنه طبرستان بعد الحصول على العلوم. وأنداك كان يسود الرفض والتشيع في طبرستان. وكانوا يسبون ويلعنون ويطعنون الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين. فبدأ ابن جرير يبين فضائل ومناقب الشيخين فخالفته الحكومة الحاكمة. وبالنسبة غادر الإمام الطبري وطنه إلى بغداد حيث قضى طوال حياته في خدمة علوم الدين. وأرادت الحكومة أن تمنحه الوزارة والمناصب الرسمية ومنصب القضاء خاصة والمال والثراء عامة بسبب ما تمتع به من العلم والفضل والمنزلة العالية ولكنه كان أبيضاً وغيوراً فرفضها كلها. وتوفي الطبري كما في رواية ابن خلكان

¹ وفيات الأعيان لابن خلكان، 1/232 (لم يذكر المطبع وسنة الطباعة)

² معجم الأدباء، 1/430، مطبوعة هندية بالموسكي، مصر، سنة 1913م

يوم السبت آخر النهار ودفن يوم الأحد في داره ببغداد في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاث مائة - رحمه الله¹.

رغبة الإمام الطبري الشديدة في روايات السيرة:

يعرف أهل العلم أن الإمام الطبري كان شغوفاً بتاريخ الأنبياء والرسول. وكل صفحة لتاريخ الطبري يشهد بذلك. ويتعلق جميع صفحات المجلد الثاني والثالث والرابع سوى الأول من تاريخ الطبري بالسيرة النبوية على الخصوص². وليس من الخطأ لو قيل إن مآثرته هذه تعبير لرؤيا أبيه. كتب صاحب معجم الأدباء على لسان الإمام الطبري: "وأنا ابن تسع سنين ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه فقال له المعبر إنه إذا كُبر نصح في دينه وذبح عن شريعته فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير".

إن هذه الرؤية كانت ممهدة لشغف الطبري بسيرة الأنبياء وخاصة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وتسبب التأثير الروحاني الذي أثر في الطبري في إحلاله منزلة خاصة في علم الحديث والسيرة والقراءة ولذلك ألف مصنفًا شهيرًا باسم "تاريخ الطبري".

على كل حال، لا شك في أن الإمام الطبري كان عالماً كبيراً موثقاً به في التفسير والقرآنيات وتاريخ الإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. ويشهد بذلك ما خلف وراءه من التراث. يعتبره ابن خلكان من الثقات ومن العلماء الموثوق بهم في التاريخ ونقل الروايات ومن الأئمة المجتهدين³.

ونسب صاحب معجم الأدباء القول إلى كتاب الفرغاني "كتاب الصلة" أن الطبري توفي وعمره 86 سنة وخلف وراءه أوراقاً من تأليفاته لو عدها شخص لعلم أن الطبري كان يحرر أربع عشرة صفحة يومياً. وذلك فضل الله الخاص وكرامة من الله سبحانه⁴.

¹ وفيات الأعيان لابن خلكان، 232/2-233

² المصدر نفسه

³ وفيات الأعيان لابن خلكان، 232/2

⁴ معجم الأدباء، 264/2

منزلة تاريخ الطبري ومصادره:

من المصادر الأساسية المهمة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن المجيد وكتب الأحاديث والمغازي والسير والتواريخ أيضًا. ومع أن مؤلفات القدامى الإسلامية ليست كتب السير أساسيًا بل هي وسيلة لبيان أحوال ووقائع حكام العالم الإسلامي والشخصيات التاريخية المهمة والبلدان الإسلامية ومع ذلك اهتم المؤرخون بتحرير حياة الشارع الطيبة ومآثره الذهبية مع ذكر ظهور الإسلام الميمون ونتيجة لذلك وردت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مختصرة في أماكن ومطولة في أخرى مثلًا ابن الأثير والتاريخ اليعقوبي وأبو الفداء ابن كثير وتاريخ الإسلام للذهبي ومروج الذهب وابن خلدون وما إلى ذلك من الكتب العظيمة تتعلق أساسيًا بموضوع التاريخ ولكن فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضًا. ولا شك في أن هذه الكتب تحتل منزلة المآثر والمصادر في السيرة إلا أنها لن تبلغ منزلة كتب الحديث والسير.

وهنا يجدر بالذكر أيضًا أننا لو قمنا بفحص مصادر تلك الكتب التاريخية علمنا بأن أكثر مصادرها هي كتب الأحاديث والمغازي والسير الموثوق بها الشهيرة. ولذلك استفاد منها جمهور المحققين والمأهرين في السيرة في تحقیقات السيرة. ومن مصادر السيرة تلك تاريخ الطبري أيضًا. كان قد جمع الطبري في تاريخه المواد الضرورية من الروايات الشفوية وسافر لذلك إلى أماكن بعيدة واستفاد من المصادر والمراجع الأدبية سوى المذكورة مثلًا كتاب أبي مخنف وكتاب عمرو بن شيبة "أخبار أهل البصرة" وغيرهما كما استفاد دون ذلك من سيرة ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وهشام الكلبي¹. فلذلك لو قمنا بمطالعة الروايات والمحتويات المتعلقة بالسيرة في الطبري بالاستيعاب لعلمنا أن الطبري بذل قصارى جهوده في ترتيب وتبويب ذلك الجزء والحصول على المواد المطلوبة فيه. وهذا الجزء طويل جدًا يسع مجلدين ونصف مجلد. وهو تحقيق الدكتور محمود الحسن أيضًا. فذكر الدكتور أن الطبري حرّر جميع ما حدث في حياته منذ ولادته إلى وفاته من الوقائع الصغيرة والكبيرة ونقل كل الروايات حيثما وجدها. معظم مصادر هذا الجزء هو القرآن وكتب الأحاديث

¹ أردو دائره معارف إسلاميه، دانش غاه بنجاب لاهور، 404/12، باكستان

العدد الخاص مجلة الهند

والسير والمغازي التي تم تأليفها في القرن الأول. جعل الإمام الطبري روايات أصحاب السير الكبار العظام عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري ومحمد بن إسحاق ومعمّر بن راشد والواقدي أهم مصادره التي استفاد منها. ومن نتائج جهود الإمام الطبري الممدوحة أن أجزاء عدد من الكتب النادرة بقيت مصونة عن الأيدي المخربة على مرّ الدهور¹.

وينبغي ذكر كلام الدكتور أنور محمود خالد في مصادر ومواد الطبري وميزاته:

"من ميزات الطبري أن الروايات التي فيها ذكر أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين هي مبنية على مواد مأخوذة مباشرة من المصادر القديمة جداً. ولذلك بعد الطبري جعل المؤرخون مثل ابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء وغيرهم هذا الكتاب مصدر مؤلفاتهم²."

منزلة الإمام الطبري وتاريخ الطبري عند العلامة شبلي:

بعدما ذكرنا ما قاله أصحاب السير القدامى عن الطبري وعن مكانة التاريخ الاستنادية ينبغي نقل رأي مؤلف سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد، فهو – العلامة شبلي – يقول:

"في سلسلة التاريخ أشمل كتاب جامع ومفصل هو كتاب الإمام الطبري "التاريخ الكبير". إنه يحتل مكانة مرموقة يعترف بها جميع المحدثين ويعترفون بفضله وكماله ووثوقه وسعة علمه.. يقول المحدث ابن خزيمة: أنا لا أدري في الدنيا أكبر عالم منه (الطبري)³. اتهمه (الطبري) بعض المحدثين بأنه كان يضع الحديث للشيعة ولكن ردّه العلامة الذهبي قائلاً: "هذا رجم بالظن الكاذب بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين"⁴.

¹ عربون مين تاريخ نكاري كا ارتقا للدكتور محمود الحسن، صفحة 187، بإحالة أردو نثر مين سيرت رسول للدكتور أنور محمود خالدي، ص 142، إقبال أكاديمي باكستان، لاهور، 1989م

² أردو نثر من سيرت رسول، ص 143-144

³ سيرة النبي لشبلي النعماني، 20/1 (الطبعة الجديدة)

⁴ ميزان الاعتدال، 35/3